إن الحمد للّه نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد،وسلم تسليما كثيرا، أما بعد:

فهذه ورقات ضمنتها طرفاً من السمات الأخلاقية التي يجب أن يتحلى بها كل مسلم في كل حين وتكون عنوانه دائماً في كل مكان،وعنونته بـ ***(أخلاقيات المسلم)*** سائلاً اللّه العلي القدير أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يتقبل منّا صالح الأعمال والأقوال إنّه سبحانه وتعالى القادر على ذلك.

و سيكون الكلام مبنيا على وصية أوصى بها رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم معاذاً بن جبل رضي اللّه عنه.

وهي وصية جامعة مانعة عظيمة يحتاج إليها كل مسلم في كل مكان، وفي كل زمان، وهي قوله عليه الصلاة والسلام : " **اتق اللّه حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن** [1] ".

ففي هذه الوصية أوصى عليه الصلاة والسلام -وهو من تعلمون شفقته، وحرصه علينا، وعلى ما يسعدنا، وما يقربنا إلى اللّه، وما فيه خيرنا في الدنيا والآخرة- بهذه الوصايا الثلاث التي تنضبط بثلاث قواعد وهي:

القاعدة الأولى: في التعامل مع اللّه.

القاعدة الثانية: في التعامل مع النفس.

القاعدة الثالثة: في التعامل مع الخلق.

فأما القاعدة الأولى فهي: قوله صلى اللّه عليه وآله وسلم: " اتق اللّه حيثما كنت ".

وهذه الفقرة لو تأملها المسلم لوجدها كافية شافية، فإنك لن تخرج من مُلك اللّه، ولن تخرج من قدر اللّه، فأينما ذهبت وحيثما اتجهت، وأينما كنت، فأنت تحت رقابة اللّه عز وجل، وأنت كما ذكر اللّه تبارك وتعالى ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا

---

[1] رواه الترمذي وصححه وأحمد والدارمي وحسنه الألباني.

أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة:٧] فالله تبارك وتعالى معك، وهو يعلم السر وأخفى، وهو مطلع عليك، وعلى كل أحوالك، **فاتق الله حيثما كنت**.

ولو أننا حققنا هذه الوصية العظيمة لأصبحنا كما قال صلى الله عليه وآله وسلم في حديث جبريل عليه السلام عندما قال: "أخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك [(١)]".

فعليك أن تعلم أن الله تبارك وتعالى مطلع عليك، وأنت وحدك تفكر، لك خطرات أو وساوس أو أمور لا يعلم بها أقرب الناس إليك، ومن هو بجوارك.

فقد دخل رجل على الإمام أحمد رحمه الله فوجده ينشد:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ⋆⋆⋆ خلوت ولكن قل عليَّ رقيب

فحيثما كنت: اعلم أن الله تبارك وتعالى رقيب عليك، ومطلع على أحوالك، وأنه مجازيك، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما قال: ﴿إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران:٢٩]، وفي آية أخرى ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ﴾ [البقرة:٢٨٤].

والله عز وجل من رحمته بنا، ومن لطفه، ومن كريم فضله، ومنِّه وجوده، وإحسانه، أنه لا يؤاخذنا بالوساوس والخطرات كما قال صلى الله عليه وآله وسلم:" إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ [(٢)]" ولكن لا يعني ذلك أن يترك الإنسان قلبه فريسة للشيطان، وأن تنتابه الوساوس، والخطرات، التي ربما تتحول إلى همّ، ثم يتحول الهمُّ إلى عزمٍ، ثم يتحول العزم إلى فعل إن كان من العمليات، وإن كان من الاعتقاديات فقد تتحول الخطرة أو الوسوسة إلى شبهة، ثم تتحول الشبهة إلى شك، ثم يكون الكفر، والعياذ بالله تعالى!

إذاً: يجب أن نحفظ قلوبنا، وأن نعلم أن الله مطلع عليها في كل لحظة من كل خاطرة أو وسوسة، وأن نستعين بالله تعالى في دفع ما قد يلقيه الشيطان في قلوبنا.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري وغيره.

ولنتق اللّه في أسماعنا، وفي أبصارنا، وفيما نتلفظ به، كما قال اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾[الإسراء:٣٦] فلا بد أن نستشعر هذه الرقابة دائماً.

عن الأوزاعي قال:كتب إلينا عمر بن عبدالعزيز رسالة لم يحفظها غيري وغير مكحول: أما بعد فإنه من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما ينفعه والسلام." [1]

القاعدة الثانية : في التعامل مع النفس .

ثم قال النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم بعد ذلك:" **وأتبع السيئة الحسنة تمحها**" .فإن النفس أمارة بالسوء و" كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون [2]". وحالنا كما أخبر اللّه تعالى في الحديث القدسي: "يا عبادي إنكم تخطؤون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم"[3] .

فلا بد أن نخطئ، ولا بد أن نذنب، ولا بد أن نعمل السيئات بمقتضى جبلتنا، وبشريتنا، وضعفنا، وعجزنا، وبمقتضى الجهل والظلم ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [الأحزاب:٧٢] الذي لا ينفك منه إلا من عصمه اللّه وحفظه منه، بمقتضى هذه الأمور لا بد أن نقع في الخطأ، ولن نسلم منه، فما الحل؟!

الحل والعلاج الناجع هو في المبادرة إلى محو هذه السيئة بالحسنة " **وأتبع السيئة الحسنة تمحها**" كما قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود:١١٤] فدواء الذنوب الاستغفار، والتوبة، واتباع السيئة الحسنة،بالأعمال الماحية للذنوب، هذا صابون الذنوب الذي لا بد منه، فالدرن واقع ولا بد.

والحل أن يعالج هذا الدرن بهذا الصابون، وبهذه الوصفة التي ذكرها النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم في وصيته الجامعة.

أما إذا استسلم الإنسان لذنوبه وأخطائه، فإن الصغائر تتحول إلى كبائر، وإن الكبائر ربما تحولت إلى خروج ومروق من الدين، باستحلال ما حرم اللّه تبارك وتعالى، نسأل اللّه أن يحفظنا جميعاً.

---

[1] تاريخ دمشق ٤٥/٢٠٤، وسير أعلام النبلاء /١٣٣/٥.

[2] رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد والدارمي وإسناده صحيح.

[3] أخرجه البخاري في الأدب وصححه اللباني .

وربما طُبع على قلب الإنسان وطغت عليه الذنوب والمعاصي فيصبح بعد ذلك لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، ولا تنفع فيه موعظة، فهو كالأرض التي أصبحت قيعاناً جدباء مهما نزل المطر فإنها لا تستفيد شيئاً، نسأل اللّه أن يحفظنا جميعاً.

إذاً: الواجب على الإنسان أن يغتنم فرصة رجوعه إلى اللّه وإنابته إليه، استشعاره بهذا الذنب وخطره إذا وقع فيه، بأن يبادر إلى غسله بما أمر اللّه تبارك وتعالى به من الحسنات.

فالإنسان في صراع ما دام في هذه الحياة في دار الابتلاء، صراع بين الحسنات والسيئات؛ وكما قال صلى اللّه عليه وآله وسلم: "من سرته حسنته وساءته سيئته فهو المؤمن[1]".

فالمؤمن إذا أطاع اللّه يحمد اللّه تبارك وتعالى ويفرح بذلك، ويسأل اللّه القبول والثبات، ويغتنم هذه الفرصة ليزداد من الحسنات، والإقبال على اللّه عز وجل.

وإذا أظلمت النفس أو تكدرت، أو قسا القلب، فليجتهد في إصلاحه بقدر المستطاع، ولا يركن فتصبح تلك حالةً دائمةً، فيتحول -والعياذ باللّه- إلى طريق القاسية قلوبهم، أو الذين في قلوبهم مرض نسأل اللّه أن يحفظنا جميعاً.

و يجب على كل واحد منا أن يستشعر هذه المعاني، وأن يعقد النية من اليوم -بإذن اللّه تبارك وتعالى- فنحن في كل لحظة في عهد وميثاق مع اللّه.

لكن علينا أن نجدد هذا العهد والميثاق دائماً، وخاصةً في مثل هذه الأزمنة المباركة كبداية عام هجري جديد، فيكون حالنا مع مطلع السنة أفضل منه قبل ذلك مع اللّه عز وجل؛ مع كتاب اللّه؛ مع اليوم الآخر؛ مع التفكر في ملكوت السماوات والأرض؛ مع الإحسان إلى المسلمين؛ مع حسن الخلق -الذي سيأتي في القاعدة الثالثة- في كل ما أمر اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به.

أن يكون الإنسان منا حسيباً لنفسه، وأن ينظر إلى ما قد فرَّط وقصَّر فيما مضى فيتداركه فيما بقي، فإن ذلك من إتباع السيئة الحسنة.

---

[1] أخرجه الترمذي وصححه الألباني.

القاعدة الثالثة: في التعامل مع الخلق .

ثم قال صلى اللّه عليه وآله وسلم: " **وخالق الناس بخلق حسن** " وهذه قاعدة عامة في التعامل مع الخلق، أن تخالقهم بخلق حسن.

وحسن الخلق كما قال النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم:"إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم [1]"، وكما في الحديث الآخر:" إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق [2]"

حسن الخلق هذا لا يكلفك شيئاً، ولكنه بابٌ عظيمٌ جداً من أبواب الخير، ومن أبواب الأجر، ورسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم كان أحسن الناس خلقاً ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[القلم:٤] أي: مع اللّه، ومع الخلق، ومع كل من يتعامل معه؛ حتى مع الدواب.

كان النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم في تعامله مع أصحابه أرأف الناس، وأفضل الناس، وأحسن الناس خلقاً، حتى مع الدواب التي لا يأبه لها كثيرٌ من الناس، وورث هذا الهدي أصحابه والتابعون، وأهل الخير، وأهل الصلاح والفضل في هذه الأمة.

فإذا قرأت سيرة الرجل منهم تجد أنك أمام خصال عظيمة: تسامح، وعزة نفس، وكرم، وإيثار، ومحبة، وتضحية، وترفع عن الانتقام للنفس أو الانتصار لغير دين اللّه عز وجل، أخلاق عالية وسمات نبيلة وأوصاف عظيمة.

وأقول -وهذا قول قد قاله الكثير، لكنا نؤكده من خلال ما نعلمه من نصوص الشرع- إن أكثر ما فتح اللّه تبارك وتعالى به قلوب العالمين وأدخلهم في دين اللّه أفواجاً، ليس أن الصحابة رضي اللّه تعالى عنهم حملوا السيوف وجاهدوهم، لكن أكثر ما كان ذلك أنهم فتحوا قلوب العالمين بأخلاقهم.

الناس يقرءون في كتبهم، وأهل الكتاب يقرءون عن سير عبادهم، ورهبانهم، وقساوستهم، ويسمعون عنهم، ولكن لا يرون أثر ذلك، فلما جاء هذا الجيل الفريد، وجاءت هذه المجموعة المؤمنة التي رباها النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم، سلبت قلوب العالمين، وملكتها بهذا الخلق، وبهذا التعامل، بأخلاق النبوة، حيث رأوها تتحرك في واقع الأرض.

---

[1] رواه أبو داود وصححه الألباني.

[2] رواه البزار وحسنه الحافظ في الفتح.

لم تعد المسألة شعارات تقال، وإنما رأوا حقيقة العدل، وحقيقة الإيثار، وحقيقة الإنصاف، وحقيقة المساواة، وحقيقة أن للإنسان كرامة جعلها اللّه تبارك وتعالى له، فالإشفاق على الضعيف، والعاجز، والرحمة بالكبير والصغير، أمور فقدها الناس، وفقدتها البشرية طويلاً، فرآها هؤلاء في أخلاق الصحابة رضي اللّه تعالى عنهم، فدخلوا في دين اللّه عز وجل، وكان ذلك أعظم أسباب دخولهم في دين اللّه، بالإضافة إلى أن لهذه العقيدة جاذبية عظيمة؛ لأنها عقيدة الفطرة.

وإذا تحقق المسلم من رعاية القواعد الثلاث لابد أن تنتج له هذه الرعاية أوصافا يتصف بها ومنها:

١- ***الحياء***: قال بعض العلماء : حقيقة الحياء " خُلُقٌ يبعث على ترك القبيح ، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ."

والحياء ابتعادٌ عن الشبهات ، وترفّعٌ على الدنيئات ، وتشبث بالمروؤت ، والخوف على المكارم ، والحرص على المحامد .

وفي الصحيح أنه صلى اللّه عليه وآله وسلم قال " الحياء خير كله [١]" وقال : "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى :إذا لم تستحي فاصنع ما شئت [٢]"

" والحياء شعبة من الإيمان "[٣]

ومن الحياء الابتعاد عن أموال الناس وأعراضهم: " كتب رجل إلى ابن عمر أن اكتب إلي بالعلم كله فكتب إليه ابن عمر إن العلم كثير ولكن إن استطعت أن تلقى اللّه خفيف الظهر من دماء الناس، خميص البطن من أموالهم ،كافا لسانك عن أعراضهم لازما لأمر جماعتهم، فافعل والسلام" [٤]

وقيل لحاتم الأصم : على ما بنيت أمرك في التوكل؟ قال على خصال أربع: علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنّت به نفسي، وعلمت أن عملي لا

---

[١] رواه مسلم.

[٢] أخرجه البخاري .

[٣] متفق عليه.

[٤] تاريخ مدينة دمشق ١٦٩/٣١، وسير أعلام النبلاء ٢٢٢/٣

يعمله غيري فأنا مشغول به، وعلمت أن الموت يأتي بغتة فأنا أبادره، وعلمت أني لا أخلو من عين الله فأنا مستحي منه. (١)

٢- ***الزهد***: وقال تعالى{ يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنّكم الحياة الدنيا ولا يغرنّكم بالله الغرور } فاطر(٥)

قال ابن تيميه رحمه الله " الزهد هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة ، وهو فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة الله عز وجل "

وقال ابن القيّم رحمه الله " لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا ، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين :

النظر الأول : النظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها ونقصها وخستها .

النظر الثاني : النظر في الآخرة وإقبالها وبقاءها ودوامها.

قال الحسن : لو رأيت الأجل ومروره ، لنسيت الأمل وغروره .

وقيل لبعض الزهّاد أوصني فقال : دع هم الدنيا لأهلها كما تركوا هم الآخرة لأهلها.

أيا من عاش في الدنيا طويلاً وأفنى العمر في قيلٍ وقالِ

وأتعب نفسه فيما سيفنى وجمّع من حرامٍ أو حلالِ

هب الدنيا تقاد إليك عفواً ألـيس مصير ذلك للزوالِ

٣- ***العدل والإنصاف***: قال الله تعالى : {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى.... الآية } النحل (٩٠) وقال تعالى : {وأقسطوا إن الله يحب المقسطين } الحجرات (٩)

العدل هو ميزان الله تعالى في الأرض الذي يؤخذ به للضعيف من القوي ، والمحقّ من المبطل .

ويلزم على كل من وُلّي أمراً من أمور المسلمين أن يعدل فيما بينهم وأن يتقي الله في حقوقهم ، فقد ورد أن من السبعة الذين يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلَّ إلاّ ظلّه " إمامٌ عادل " (متفقٌ عليه)

عن سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم حين ضاقت بهم أرض مكة:" إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد

---

(١) حلية الأولياء ٧٣/٨، شعب الإيمان ٩٨/٢، تاريخ الإسلام ١١٩/١٧،سير أعلام النبلاء ٤٨٥/١١، المستطرف ٣١٠/١، المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري المالكي ٥١٢/١.

عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل اللّه لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه فخرجنا إليها أرسالا حتى اجتمعنا **ونزلنا بخير دار إلى خير جار أمناً على ديننا ولم نخش منه ظلماً**... الحديث بطوله .[1]

وكتب بعض عمّال عمر بن عبد العزيز - يشكو إليه من خراب مدينته ،ويسأله مالاً يرمِمُها به - فكتب إليه عمر بقوله : " قد فهمت كتابك فإذا قرأت كتابي هذا فحصّن مدينتك بالعدل ، ونقِّ طرقها من الظلم فإنه يرمِمُها"

- عن فاطمة امرأة عمر بن عبدالعزيز أنها دخلت على عمر فإذا هو جالس في مصلاه معتمدا يده على خده سائلة دموعه على لحيته فقالت: يا أمير المؤمنين ألشيء حدث؟ قال يا فاطمة إني تقلدت أمر أمة محمد عليه الصلاة والسلام فتفكرت في الفقير الجائع والمريض الضائع والغازي المجهود والمظلوم المقهور والغريب الأسير والشيخ الكبير وذي العيال الكثير والمال القليل وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد فعلمت أن ربي سيسألني عنهم يوم القيامة وإن خصمي دونهم محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم فخشيت أن لا يثبت لي حجة عند خصومته فرحمت نفسي فبكيت. [2]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه: "... فإن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة وعاقبة العدل كريمة ولهذا يُروى: اللّه ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة .[3] "

وجامع الإنصاف أن يكون قصده الحق والعدل يدور معهما حيثما دارا دون محاباة أو انتقاء، وأن يأخذ به من أي مصدر جاء.

٤- ***الصدق***: قال تعالى في محكم التنزيل { والصادقين والصادقات} الأحزاب (٣٥) وقال { فلو صدقوا اللّه لكان خيراً لهم } محمد (٢١)

---

[1] السيرة النبوية ١٦٤/٢ ، تاريخ الطبري ٥٤٧/١، السنن الكبرى ٩/٩، وانظر سير النبلاء ٢٠٨/١، وزاد المعاد١/٩٧، وفتح الباري ١٨٨/٧.

[2] تاريخ ٤٥/ ١٩٧، والكامل في التاريخ ٣٣٠/٤، وسير أعلام النبلاء ١٣١/٥.

[3] مجموع الفتاوى ج: ٢٨ ص: ٦٢

عن ابن مسعود ـ عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم : " إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنّة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند اللّه صدّيقا..... الحديث [1]

وغايته الحرص على عدم نقل أي خبر أو التحدث عنه قبل التأكد من صحته.. "كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع[2]"

٥- ***الأمانة***: قال تعالى :{ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً} الأحزاب (٧٢)

قال تعالى :{ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا اللّه والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون . } الأنفال (٢٨.)

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم قال : "آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب ، وإذا أوعد أخلف ، وإذا أُوتمن خان" [3]

وفي رواية " وإن صام وصلّى وزعم أنّه مسلم "

الأمانة أمرها عظيم ، ومعانيها كثيرة وجليلة ، يحملها جميع الناس علموا ذلك أم لم يعلموا ، الإمام ، القاضي ، العالم ، الطالب ، الموظف ،العامل، الجندي، رب الأسرة " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " [4].

وتشمل جانبين: ١-الخبرة المهنية قبل التولي ٢- مراقبة اللّه في الأداء.(أخلاقيات المهنة) ومن تمام الأمانة كتمان سر الغير خاصة الأسرار التي في نشرها شر، وعدم بذل السر لمن لا يحفظه. وقال الشافعي رحمه اللّه :-

إذا المرء أفشى سره بلسانه ولام عليه غيره فهو أحمقُ

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيقُ

٦- ***الصبر***: قال تعال: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ } (البقرة ١٥٥)

---

[1] متفق عليه.

[2] رواه مسلم وغيره.

[3] متفق عليه.

[4] رواه البخاري.

قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا اللّه لعلكم تُفلحون ﴾ (آل عمران ٢٠٠)

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم :" عجباً لأمر المؤمن إن أمره كلّه خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً " [1] .

وللصبر أنواع ثلاثة :ـ

١ - **الصبر على طاعة اللّه** في فعل المأمور.قال تعالى ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ (البقرة ٤٥)

٢ - **الصبر عن المعصية** ، وذلك بأن يعمل المؤمن على تحصين نفسه من كل ما هو مزيّن أمامه ، ومن الشهوات الدنيوية والتي تكسب الإنسان ذلاً في الدنيا ، وعذاباً شديداً في الآخرة .وهو أصعب الأنواع.وهنا تتجلى الارتباط الوثيق بين الاعتقاد والأخلاق كما في قصة يوسف مع امرأة العزيز. وكما في قصة عبيد بن عمير رحمه اللّه حيث نقل عدد من العلماء "أن امرأة جميلة كانت بمكة وكان لها زوج فنظرت يوما إلى وجهها في المرآة فقالت لزوجها: أترى أحدا يرى هذا الوجه ولا يفتتن به؟ قال: نعم. قالت: من؟ قال: عبيد بن عمير. قالت: فائذن لي فيه فلأفتننه قال: قد أذنت لك قال: فأتته كالمستفتية فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر فقال لها: يا أمة اللّه استتري فقالت: إني قد فتنت بك قال: إني سائلك عن شيء فإن أنت صدقتني نظرت في أمرك قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك قال: أخبريني لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أن أقضي لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا قال: صدقت قال: فلو دخلت قبرك وأجلست للمساءلة أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا قال صدقت قال: فلو أن الناس أعطوا كتبهم ولا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا قال: صدقت قال: فلو أردت المر على الصراط ولا تدرين هل تنجين أو لا تنجين أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا قال: صدقت قال: فلو جيء بالميزان وجيء بك فلا تدرين أيخف ميزانك أم يثقل أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا

---

[1] رواه مسلم.

قال: فلو وقفت بين يدي اللّه للمساءلة أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا قال: صدقت قال: اتقي اللّه فقد أنعم اللّه عليك وأحسن إليك قال: فرجعت إلى زوجها فقال ما صنعت؟ قالت: أنت بطال ونحن بطالون. فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة فكان زوجها يقول: مالي ولعبيد بن عمير أفسد علي امرأتي كانت في كل ليلة عروسا فصيرها راهبة." [1]

٣ - **الصبر على النوازل والمصائب** ، لما في ذلك من الأجر العظيم والثواب الجزيل، وغايته أن يكون عند الصدمة الأولى،وسبيله الاستعداد للطوارئ كلها.

عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي اللّه عنهما عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم قال :" ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفّر اللّه بها من خطاياه " [2]

٧- ***التواضع***: قال تعالى: { تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين} (القصص (٨٣)

ولنا في تواضع رسول اللّه عليه صلى اللّه عليه وآله وسلم أسوة حسنة وهو أشرف وأجل من وطئت قدماه الأرض ، فقد كان يرقع ثوبه ، ويخصف نعله ، ويعاون أهله في شؤون بيته ، ويسلّم على الصغير ، ويوقر الكبير، ويمشي في الأسواق، ولم يكن يتميز عن أصحابه حتى وهو جالس بينهم.

قال عدي بن أرطأة لإياس بن معاوية : إنّك لسريع المشية قال : ذلك أبعد من الكِبْر ، وأسرع في الحاجة.

تواضعَ لمّا زاده اللّه رفعةً *** فكل رفيع عنده متواضعُ

٨- ***الشورى*** : ومن محاسن هذا الدين القيم أن رغّب في الشورى ، وأرشد إلى التعاون فيها وإبداء الرأي ، والسماع للآخر، قال تعالى موجهاً خطابه إلى نبيه الكريم صلى اللّه عليه وآله وسلم :{ وشاورهم في الأمر }

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : "ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم ." [1]

---

[1] المنتظم لابن الجوزي ١٩٨/٦،،وذم الهوى له ٢٦٦/١.وروضة المحبين لابن القيم ٣٤٠/١، ومعرفة الثقات للعجلي ١٢٠/٢

[2] متفق عليه.

وقال الحسن :" الناس ثلاثة: فرجلٌ رجل ، ورجلٌ نصف رجل ، ورجلٌ لا رجل ، فأما الرجل الرجل فذو الرأي والمشورة ، والرجل نصف الرجل الذي له رأي ولا يشاور ، والرجل لا رجل فالذي ليس له رأي ولا يشاور ."[٢] وقال الورّاق :

إن اللبيب إذا تفرق أمره فتق الأمور مناظراً ومشاورا

وأخو الجهالة يستبدّ برأيه فتراه يعتسف الأمور مخاطرا

وأخيرا: هذا ما تيسر جمعه وتحريره

وأشكر الإخوة في مركز مصعب بن عمير في غات على هذا الجهد المبارك.

وصلى اللّه وسلم على نبيه محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

١٤٢٧/١/٢٧هـ = ٢٠٠٦/٢/٢٦م

======

===

=

---

[١] أخرجه الترمذي بإسناد صحيح.

[٢] المستطرف في كل فن مستظرف ،لشهاب الدين الأبشيهي ١٦٦/١.